الملائكة

س : عرفنا أن الله سبحانه قال: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] فهل هناك تفضيل لبعض الملائكة على بعض؟

ج : ذكر القسطلاني[1]، أن الملائكة بعضهم أفضل من بعض وأن أفضلهم جبريل الروح الأمين المزكى من رب العالمين ، المقول فيه من ذي العزة ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير : ١٩-٢١] فوصفه بسبع صفات ، فهو أفضل الملائكة الثلاثة الذين هم أفضل الملائكة على الإطلاق ، وهم ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل . انتهى .

وجاء في شرح المواهب للزرقاني[2] ، أن أعلى الملائكة درجة : حملة العرش الحافون حوله ، فأكابرهم أربعة ، فملائكة الجنة والنار فالموكلون ببني آدم ، فالموكلون بأطراف هذا العالم ، كذا ذكره الرازي . انتهى .

وإذا كان جبريل أفضل الملائكة الموكلين ببني آدم ، لما سبق من وصف الله له في القرآن ، فإن هناك خلافاً في التفاضل بينه وبين إسرافيل ، ولم يصح في ذلك شيء كما قال السيوطي في «الحبائك» والآثار متعارضة ، وذكر الزرقاني روايات متعددة رأيت الإعراض عنها لعدم جدواها في حياتنا العملية ، ولسنا مكلفين باعتقاد ذلك ، ومن كان عنده نهم للمعرفة فليرجع إليه .

س : هل الملائكة أفضل من البشر ، أم البشر أفضل منهم لأنهم أمروا بالسجود لأبيهم آدم ؟

ج : يقول الله سبحانه ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج :٧٥]

١- المواهب اللدنية ج٢ ص ٤٦. ٢- ج٦ ص ١٤٤.

تدل الآية على أن الملائكة والناس يصطفي الله منهم رسلاً ، لكن هل الاصطفاء بصورة واحدة وعلى مستوى واحد ، أم أن هناك امتيازاً لنوع منهما على نوع آخر؟ ليس في ذلك نص من قرآن أو سنة صحيحة ، والخوض في ذلك قد يؤدي إلى تنقيص بعضهم أو الغَضِّ منه ، ولا توجد له أهمية بالنسبة لحياتنا العملية ، لكن العلماء القدامى أثاروا هذه المسألة وهذا طرف من ذلك :

ذكر القسطلاني [1] ، أن هناك اختلافاً في التفاضل بين الملائكة والبشر ، فقال جمهور أهل السنة والجماعة : خواص بني آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون (الكروبيون ملائكة العذاب والروحانيون ملائكة الرحمة في بعض الأقوال) .

وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم وهم من عدا الأنبياء من الصالحين .

وذلك بالإجماع كما قال التفتازاني بل بالضرورة ، وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة ، ولذلك عدة مبررات : منها ، أن مجموع الملائكة أمروا بالسجود لمجموع البشر الممثلين في آدم ، والمسجود له أفضل من الساجد ، فإذا ثبت تفضيل الخواص من البشر وهم الأنبياء على الخواص من الملائكة بالسجود لآدم ثبت تفضيل العوام على العوام .

فعوام الملائكة خدم عمال الخير وهم صلحاء المؤمنين ، والمخدوم له فضل على الخادم ، ومنها أن المؤمنين ركب فيهم الهوى والعقل مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته ، والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى أي الشهوة ولا سبيل للشيطان عليهم ، فالإنسان - كما قاله التفتازاني في شرح العقائد النسفية - يحصِّل الفوائد والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة وشواغل الأمور الضرورية عن اكتساب الكمالات . ولا شك أن العبادة واكتساب الكمال مع الشواغل والصوارف أشق وأدخل في الإخلاص فيكون الإنسان أفضل .

---

١ - المواهب اللدنية ج٢ ص ٤٥.

وذهب المعتزلة والفلاسفة وبعض الأشاعرة من أهل السنة إلى تفضيل الملائكة ، وتمسكوا بنحو عشرين وجهاً ، ذكر القسطلاني منها أربعة لا داعي لذكرها ، فهي ترف عقلي لمن أراد ، فليرجع إليه ، وقد وضح هذه النقطة أيضاً القرطبي في تفسيره [1] ، قائلاً : وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه المسألة إلى القطع ، وقد تحاشى قوم من الكلام في هذا ، كما تحاشوا من الكلام في تفضيل بعض الأنبياء على بعض ، إذ في الخبر « لاتخايروا بين الأنبياء ، ولا تفضلوني على يونس بن متى » وهذا ليس بشيء لوجود نص في القرآن في التفضيل بين الأنبياء .

ولعل النهي عن التفضيل يقصد به ما يثير فتنة وتعصباً ، فالمقطوع به تفضيل الرسول محمد ﷺ . حتى على الملائكة كما قاله المحققون .

س : هل صحيح أن هاروت وماروت كانا من الملائكة وعاقبهما الله على معصيته؟

ج : قال تعالى ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ . . . . . ﴾ [البقرة :١٠٢] .

جاء في كتب التفسير أنهما ملكان هبطا إلى الأرض وفتنا ، فعاقبهما الله بتعليقهما من أرجلهما ، وكلام المفسرين -على جلالة قدرتهم- ليس حجة في هذا المقام ، فهو منقول عن تراث البابليين وشروح اليهود وكتب النصارى ، وأقرب الأقوال عنهما أن الناس كانوا قد فتنوا بالسحرة حتى رفعوهم إلى مقام الأنبياء ، فأنزل الله ملكين يعلمان الناس السحر ، ليفرقوا بينه وبين النبوة ، ويحذروهم من الفتنة به وبهما .

١- ج١ ص٢٨٩ ، ج١٠ ص ٢٩٤ .

أو أنهما شخصان كانا يتمتعان بمنزلة كبيرة في العلم والسلوك ، فتن الناس بهما ، فأطلقوا عليهما اسم الملكين ، من باب التشبيه والمجاز ، وهو إطلاق معروف قديماً وحديثاً ، حيث يطلق الآن على الشخص الممتاز اسم «ملاك» . وفي الأساطير البابلية شخصان باسمين مقاربين لهاروت وماروت ، أعجب الناس بهما فأطلقوا عليهما اسم ملكين ، بل زاد الإعجاب بهما فاعتقدوا أنهما من الآلهة ، وقد أقبل اليهود على تعلم ما تركاه من حكمة وسحر ، وشغلوا به عن كتاب الله الذي نبذوه وراء ظهورهم .

هذا ، ولا يجوز أن نلتفت إلى ما يقال عن الملائكة مما يتنافى مع عصمتهم ، فهم لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، قال تعالى ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾[الأنبياء :٢٦ ، ٢٧] وقال ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾[الأنبياء : ١٩ ، ٢٠] .

س : هل إبليس من الملائكة لأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فلم يسجد ، أو هو من الجن؟

ج : معرفة جنس إبليس متوقفة على الخلاف في كونه من الملائكة أو لا ، وهو قبل معصيته لأمر الله لا يعرف حاله بطريق ثابت ، وكل ما قيل في ذلك منسوب إلى بعض الصحابة . أما بعد الإخبار عن معصيته ففي معرفة جنسه رأيان .

الرأي الأول : أنه من الملائكة ، واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها :

أ - ظاهر الاستثناء في قوله تعالى ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وهو استثناء مفصل يدل على أنه من الملائكة .

ب- أنه لو لم يكن من الملائكة ما كان أمر الله لهم بالسجود متناولاً له ، ولو لم يكن متناولاً له استحال أن يكون تركه للسجود إباء معصية ، ولما استحق العذاب ، وحيث حصل ذلك علمنا أن الخطاب بالسجود يتناوله ، فهو من الملائكة .

والرأي الثاني : أنه ليس من الملائكة ، واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها :

أ - قوله تعالى ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف :٥٠] .

ب- أن الملائكة معصومون من العصيان لقوله تعالى ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم :٦] وإبليس عصى واستكبر عن السجود فهو ليس من الملائكة .

وأدلة الطرفين محتملة ، ومناقشة وبيان ذلك باختصار :

١ - أن الاستثناء قد يكون منقطعاً فالمستثنى إبليس وليس من جنس المستثنى منه وهم الملائكة .

٢ - أن الأمر بالسجود أصلاً هو للملائكة ، وإبليس ملصق بهم لكثرة عبادته ، فلا يوجه إليه أمر خاص ، لأن الأمر العام يكون للكثرة الغالبة .

٣ - كون إبليس من الجن قد يراد به أنه من العالم المستتر ، والملائكة من العالم المستتر أيضاً ، قال تعالى ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا﴾ [الصافات :١٥٨] حيث قال الكفار : الملائكة بنات الله .

والدليل الذي جيء به لإثبات أنه ليس من الملائكة بأنهم معصومون ، وإبليس أخطأ دليل قوي ، فإن الثابت أن الجن منهم مؤمنون ومنهم كافرون ، والآيات في ذلك كثيرة وليس من الملائكة كافرون .

ومن أجل أن أغلب أدلة الطرفين مناقشة فلا يمكن القطع برأي في الموضوع ، ولهذا قيل : إن إبليس ليس من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق مفرد من نار ، وإبليس يطلق عليه شيطان ، لأن الشياطين هم شرار الجن . فإن منهم أخياراً ، كما يطلق لفظ الشيطان على من تمرد من الإنس والجن والدواب [1].

---

١ - ومن أراد تفصيلاً أوضح فليرجع إلى كتاب ((آكام المرجان)) للمحدث الشبلي ، وإلى مجلة الأزهر - المجلد الثامن ص ٥٦٦ وما بعدها ، وإلى بحث الجن في هذه الفتاوى .

س : قرأنا في الصحف أن هناك محاولة لقياس سرعة الملائكة بسرعة الضوء والسرعات المعروفة لنا ، فهل يصح هذا أم لا يصح ؟

ج : الإسلام حث على النظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض ، وشجع على ذلك تشجيعاً ورد في كثير من آيات القرآن الكريم ، وذكر الحكمة منه بأن فيه آيات وعلامات لذوي العقول النيرة يدركون بها من أسرار الكون ما يحملهم على الإيمان بخالقه ، أو تعميق الإيمان به لمن سبق له الإيمان كما أن من أهداف الحث على النظر الشامل : الانتفاع بما سخر الله في الكون انتفاعاً يساعد على أداء رسالة الإنسان في الحياة وتحقيق الخلافة في الأرض .

غير أن عقل الإنسان له حدود لا يستطيع معها أن يدرك كل الأسرار ، وحواسه التي تقدم له التصورات مجالاتها محدودة كما ثبت علميًّا ، وبالتالي تكون النتائج والمعطيات العقلية محدودة أيضاً ، وهناك من الأمور الغيبية التي يتوقف العلم بها على الخبر الصادق من الرسل المبلغين عن الله ما لا مجال للعقل فيه ، ضرورة أنه لايدرك بالحواس ، والخبر إذا صدق كان مجال العقل فيه بعيداً عن النفي والإثبات ، وإن كانت له صولات وجولات في بيان حكمته مثلاً . وعلى فرض عدم وصوله إلى إدراك الحكمة فإن ذلك لا يؤثر على وجوده ، فلا تلازم بينهما .

والملائكة من عالم الغيب الذي يجب الإيمان به كما ورد وفي هذا النطاق فحسب ، وللملائكة خواص ليست للبشر ولا للعالم المادي المعروف ، ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١] ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم :٦] ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء:١٩،٢٠] ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج :٤] إلى غير ذلك من النصوص الواردة في القرآن والسنة .

وما دامت لهم خواص غير خواص سائر المخلوقات ، فإن محاولة قياس أحوالهم في السرعة وغيرها على السرعة المعروفة لنا محاولة غير كافية للوصول إلى نتيجة صحيحة ، ذلك لأن القياس ، كما هو معروف ، قياس مع الفارق .

وما تصل إليه هذه الأبحاث لا يلزمنا تصديقها فهي لم تصل بعد إلى درجة الحقائق العلمية المسلمة ، والفروض والظنون لا يجوز أبداً أن نحمل عليها آيات القرآن ، أو نفسرها على ضوئها .

ونحث الباحثين -مع تسليمنا بموقف الإسلام من النظر في الكون وهو التشجيع- على أن يكون نشاطهم في النطاق الذي يمس مشاكلنا مسًّا قويًّا في المجال الفكري والاجتماعي والأخلاقي الذي نصل به إلى المستوى اللائق بنا ، وإذا صدقت النية في البحث كانت معونة الله بالتوفيق .

س : هل ترى الملائكة ربنا سبحانه ؟

ج : لم أعثر على نص يفيد أن الملائكة ترى الله سبحانه ، وهي دائماً في طاعة ، ودوام الطاعة لا يستلزم الرؤية .

س : هل صحيح أن جبريل عليه السلام استحيا من السيدة خديجة ولم ينزل على الرسول ﷺ بالوحي بسبب ذلك ؟

ج : جاء في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني [1] ، أن أبا نعيم روى في كتاب «الدلائل» بسند ضعيف عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً مع خديجة إذ رأى شخصاً بين السماء والأرض فقالت له خديجة : أدْنُ ، فدنا منها ، فقالت : تراه ؟ قال «نعم» قالت :أدخل رأسك تحت درعي ، ففعل ، فقالت : تراه ؟ قال «لا» قالت : أبشر ، هذا ملَكَ ، لو كان شيطاناً لما استحيا . ثم رآه بأجياد فنزل إليه وبسط له بساطاً وبحث في الأرض ، فنبع الماء ، فعلّمه جبريل كيف يتوضأ ، فتوضأ وصلى ركعتين نحو الكعبة ، وبشّره بنبوته ، وعلّمه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق :١] ثم انصرف . فلم يمرَّ على شجر ولا حجر إلا قال: سلام عليك يا رسول الله .

---

١ - ج٣ ص ٢٢١.

فجاء إلى خديجة فأخبرها ، فقالت : أرني كيف أراك؟ فأراها فتوضأت كما توضأ ثم صلت معه وقالت : أشهد أنك رسول الله . انتهى .

بهذه المناسبة هل نزل جبريل على الخضر ؟ هناك خلاف في كونه نبيًّا أو وليًّا ، وإذا كان نبيًّا فهل نزل عليه كتاب ؟ لا يلزم من النبوة نزول كتاب ، بل بعض الرسل من بني إسرائيل لم يرد نص في نزول كتاب عليهم ، بل كانوا يعملون بما سبق نزوله على غيرهم .

س : ما رأي الدين في بعض الرسوم الكاريكاتيرية التي تظهر في الصحف ويسخر فيها أصحابها من عالم الآخرة ، حيث يصورون ملائكة الرحمة أو زبانية الجحيم في صورة مهرجين أو مستهترين ؟

ج : الملائكة أجسام نورانية قادرون على التشكل بالأشكال الحسنة المختلفة ، وصفهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأنهم مطهرون كرام بررة ، عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، لا يستكبرون عن عبادته ولايستحسرون ، أي لا يتعبون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وناط بهم أعمالاً في مملكته الواسعة ، يؤدونها بأمانة وصدق كما أمرهم الله سبحانه ، وكما تقضي به طبيعتهم الخيرة التي لا تعرف الشر ، ولا العصيان . وقد أمرنا الله سبحانه أن نؤمن بهم على هذه الصورة الكريمة كما أمرنا أن نؤمن برسله وكتبه ، وحرم الاستهزاء والاستخفاف بهم أو تحقيرهم بأية صورة من الصور كما حرم ذلك بالنسبة للرسل ، قال تعالى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٨] وقد كان اليهود يَعُدُّون جبريل عليه السلام عدوًّا لأنه ينزل بالوحي الذي يفضح أحوالهم ، وبما يتعارض مع مصالحهم كما يتصورون .

ومن هنا يحرم أي شيء لايصور الملائكة بصورتهم التي صورها القرآن الكريم ، سواء أكان ذلك قولاً أو فعلاً : برسم أو تمثيل أو كلام أو غيره ، فذلك كذب لأنه

لا يمثل الحقيقة ، والكذب حرام ، كما حرم الكذب على الرسل الذي جاء فيه الحديث المتفق عليه « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وهو وإن كان في شأن النبي ﷺ فهو يشمل كل الرسل ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة :٢٨٥] بل الكذب حرام حتى على غيرهم ممن ليست لهم مكانتهم العالية ومنزلتهم الرفيعة.

كما يحرم الاستهزاء والاستخفاف بالملائكة وكل من لهم قداسة وتقدير ، فإن ذلك يؤدي إلى الكفر ، لمنافاته لتشريف الله لهم بأنهم عباد مكرمون ، ويقول سبحانه ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج :٧٥] .

وإذا فقدنا ثقتنا بهذه الصفوة الممتازة من خلق الله فبمن نثق بعد ذلك وهم ليسوا في درجتهم ، إن مثل هذه الاستهانة بالملائكة والرسل وكرام الناس من الأولياء والعلماء الذين جعل الله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وقال فيهم ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة :١١] .

إن هذه الاستهانة مدرجة إلى التحلل من كل القيم الرفيعة ، والواجب علينا جميعاً أن نقف بحزم وشدة أمام هذا التسيب في العقيدة والأخلاق ، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال :٢٥] .

س : عندما أخبر الله سبحانه الملائكة بأنه سيخلق بشراً قالوا له : إنه سيكون مفسداً ، فكيف عرفوا ذلك ؟

ج : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :٣٠] .

جاء في كتب التفسير : أن الأرض كانت مسكونة بخلق لم يصلحوا لعمارتها كما أراد الله سبحانه فأهلكهم ، ثم قال سبحانه للملائكة : إني سأجعل بعد هؤلاء خليفة لإدارة الأرض إدارة صالحة ، فخافوا أن يكون كمن سبقوه من الذين

ارتكبوا الجرائم وأفسدوا بالقتل وغيره ، وقالوا : نحن خلق جُبلنا على الطاعة لك ، نحمدك بكل كمال هو فيك ، وننزهك عن كل نقص لا يليق بجلالك ، فأخبرهم الله أنه يعلم أن الخليفة الجديد سيصلح ولا يفسد .

فالملائكة ظنت بالقياس على الخلق السابق على آدم أنه سيقتل ويسفك الدماء ، ولم يعلموا أنه سيكون من لحم ودم ، وأن الملائكة لم تكن تعلم الغيب المستقبل لآدم . وليس في هذا الظن علم بالغيب ، ولذلك قال الله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وقال : ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة :٣٣] فعلمهم ظن أساسه القياس ، وعلم الله حق أساسه الكشف واليقين .

وقيل : إن الملائكة تعرف أن الخليفة لن يكون له من علم الله وإرادته المطلقة ما يستطيع أن يحيط بكل شيء علماً ، أو يعلم علماً يقينيًّا كاملاً مرة واحدة بل على التدريج ، وعلى هذا يكون تصرفه غير حكيم ، وبالتالي يكثر الفساد وقيل غير ذلك .

س : هل صحيح أن بعض الحيوانات ترى ملك الموت عند نزوله إلى الأرض؟

ج : الثابت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً » . والثابت أيضاً أن فرس أسيد بن حضير أحست بالملائكة التي نزلت تستمع إلى القرآن ، فاضطربت وكادت تؤذي الولد النائم ، كما رواه البخاري ومسلم . وروى النسائي والحاكم أن النبي ﷺ قال « إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير في الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ، فإنها ترى ما لا ترون ، وأقلُّوا الخروج إذا هدأت الرِّجل ، فإن الله يبث في الليل من خلقه ما شاء »[1] .

١- قال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط مسلم .

يؤخذ من هذا أن الحيوانات ترى من مخلوقات الله المغيبة عنا ما لا يراه الإنسان ، لكن الربط بين حيوان بعينه وما يراه إن كان ملكاً أو شيطاناً يقتصر فيه على ما أخبرنا به النبي ﷺ بطريق صحيح ، ولم أعثر على حديث يعتمد عليه في الاعتقاد بأن الكلب يرى ملك الموت كما هو شائع بين العامة .

س : هل نزل جبريل إلى الأرض بعد وفاة النبي ﷺ ؟

ج : جاء في « الحاوي للفتاوى » للسيوطي أن إنكار الناس لنزول جبريل بعد موت النبي ﷺ لا أصل له ، ثم استدل على ذلك بما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت : قلت : يا رسول الله هل يرقد الجنب ؟ قال : « ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ ، فإني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل » .

فدل هذا على أن جبريل يحضر موتة المؤمن المتطهر . وكذا استدل بما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً في وصف الدجال الذي جاء فيه : ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا جبريل ، بعثني الله لأمنعه من حرمه .

كما استدل بقوله تعالى في ليلة القدر ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ [القدر :٤] حيث قال الضحاك : إن الروح هنا جبريل ، وأنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين وذلك في كل سنة . اهـ .

والذي جر إلى الاعتقاد بعدم نزوله حديث « لا وحي بعدي » فالذي ينزل بالوحي جبريل ، والجواب أن الحديث موضوع ، ولو فرضت صحته فالمنفي نزوله للوحي إلى الأنبياء بشرع ، لكن قد ينزل لغير ذلك كتبليغ خبر لا يتعلق بتشريع ، ففي مسلم « أوحى الله تعالى إلى عيسى أني أخرجت عباداً لي لا يد لأحد بقتالهم فحول عبادي إلى الطور - وهم يأجوج ومأجوج [1].

---

١ - مذكرات التوحيد ج٣ ص ١٥٠.

ومهما كانت قيمة الاستدلال بهذه الأدلة على نزول جبريل فإن ذلك أمر ليس من أصول العقيدة الإسلامية ، والبحث فيه ينبغي أن يحملنا على ما احتوته هذه الأدلة من الحرص على الطهارة ، ومن إحياء ليلة القدر .

س : ما هو اسم ملك الموت ، وكيف يقبض أرواح الكثيرين في وقت واحد ، ومن الذي يقبض روحه هو ، وهل صحيح أنه كان يظهر للناس ، وأنه استأذن النبي ليقبض روحه وأن موسى لطمه ؟

ج : نحن مكلفون بالإيمان بالملائكة إجمالاً ، ولا نكلف بمعرفة أسمائهم إلا ما نص عليه القرآن أو الحديث الصحيح لأن عددهم كبير كما قال الله سبحانه ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر :٣١] والنص إما على الاسم الشخصي مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ومنكر ونكير ، ورضوان خازن الجنة ومالك خازن النار . وعزرائيل مشهور بأنه هو ملك الموت وإن كان اسمه لم يرد في القرآن الكريم .

وإما أن يكون النص على النوع مثل حملة العرش والكتبة الذين يحصون أعمال العباد . والحفظة وغيرهم .

وعزرائيل هو الملك الموكل بقبض الأرواح ، قال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة :١١] ، ويقال : إن الله اختاره لذلك لأنه هو الذي تجرأ وأخذ من تراب الأرض ليخلق الله منه آدم على الرغم من أنها استعاذت من الملائكة الذين حاولوا قبله أن يأخذوا منها التراب ، وهذا كلام وهب بن منبه والزهري وليس له سند صحيح [1] وملك الموت ككل نفس سيموت والذي يقبض روحه هو الله سبحانه .

---

١ - مشارق الأنوار للعدوي ص ١٦ .

وجاء في مشارق الأنوار أيضاً [1] أن له أعواناً بعدد من يموتون ، وأخرج ابن أبي حاتم و أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن نفسين اتفق موتهما في طرفة عين ، واحد بالمشرق والآخر بالمغرب كيف قدرة الملك عليهما؟ قال: ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب والظلمات والهواء والبحور إلا كرجل بين يديه مائدة يتناول من أيها شاء . وأخرج ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال : قيل: يا رسول الله ، ملك الموت واحد والزحفان يجتمعان بين المشرق والمغرب وما بين ذلك من السخط والهلاك ، فقال « إن الله حوى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدي أحدكم ، فهل يفوته منها شيء » .

وأخرج أحمد والبزار وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : كان ملك الموت يأتي الناس عياناً ، فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه ، فأتى ربه فقال: يا رب عبدك موسى ففأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عينه ، قال له : اذهب إلى عبدي موسى فقل له : فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة ، فأتاه فقال له : ما بعد هذا ؟ قال : الموت . قال : فالآن . قال : فشمه شمة فقبض روحه ورد الله عليه عينه ، فكان بعد يأتي الناس خفية .

وذكر الشعراني بعد أن حكى رواية للإمام الترمذي بمثل هذا - أن موسى ففأ عين ملك الموت بإذن من ربه عز وجل ، لأنه معصوم . ولذلك لم يعاتبه الله على ذلك [2].

كما أورد حديثاً عن أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وفيه دخول ملك الموت بيت داود عليه السلام -وكانت فيه غيرة- فقبض روحه . كما نقل أن الطبراني أخرج عن الحسين أن جبريل هبط على النبي ﷺ يوم موته وأخبره أن ملك الموت

١- ص ١٣ . ٢- مشارق الأنوار ص ١٥.

استأذن على الباب ، وما استأن على أحد قبلك ، وأن الملك قال : إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك ، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها ، وقد أذن له النبي ﷺ في قبضها [1].

وجاء في المواهب اللدنية للقسطلاني وشرح الزرقاني [2] ، أن جعفر الصادق ابن محمد الباقر أخبر عن أبيه محمد بن علي بن الحسين أنه قال : لما بقى من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل وساق الكلام المذكور ، وجاء فيه أن جبريل قال للنبي : يا رسول الله هذا آخر موطئ من الأرض ، إنما كنت حاجتي من الدنيا . وذكر الزرقاني أن عدم نزول جبريل بعد ذلك إنما هو النزول بالوحي المتجدد ، فلا ينافي ما ورد في أحاديث أنه ينزل ليلة القدر ويحضر قتال المسلمين مع الكفار ، ويحضر من مات على طهارة من المسلمين ، ويأتي مكة بعد خروج الدجال ليمنعه من دخولها وفي زمن عيسى عليه السلام ليس بشرع جديد .

وخلاصة الإجابة على السؤال : أن ملك الموت اسمه عزرائيل ولم يرد ذكر اسمه في القرآن ، وأنه رئيس الملائكة المكلفة بقبض الأرواح فله أعوان في هذه المهمة وأن الذي يقبض روحه هو الله بحكم أن كل نفس ذائقة الموت . وأنه كان يظهر للناس . وحادثته مع موسى عليه السلام وردت في حديث غير متواتر . كما أن حديث استئذانه الرسول في قبض روحه فيه كلام .

وليس ذلك عقيدة يجب اعتقادها ، وللاجتهاد فيه نصيب .

---

١ - مشارق الأنوار .
٢ - ج٨ ص ٢٨٥.

س : هل صحيح أن موسى عليه السلام لطم ملك الموت عندما أراد أن يقبض روحه؟

ج : إضافة إلى ما تقدم أقول : روى مسلم عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، قال : فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أي رب ثم مَه ؟ قال ثم الموت ، قال فالآن . فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر . فقال رسول الله ﷺ «فلو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر» .

قال القرطبي [1] ، واختلف العلماء في تأويل لطم موسى عين الملك وفقئها على أقوال ، منها : أنها كانت عيناً متخيلة لا حقيقية ، وهذا باطل ، لأنه يؤدي إلى أن ما يراه الأنبياء من صور الملائكة لا حقيقة له ، ومنها أنها كانت عيناً معنوية ، وإنما فقأها بالحجة . وهذا مجاز لا حقيقة ، ومنها أنه عليه السلام لم يعرف ملك الموت ، وإنما رأى رجلاً دخل منزله بغير إذنه يريد نفسه ، فدافع عن نفسه فلطم عينه ففقأها . وتجب المدافعة في هذا بكل ممكن ، وهذا وجه حسن ، لأنه حقيقة في العين والصك . قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة ، غير أنه اعترض عليه بما في الحديث ، وهو أن ملك الموت لما رجع إلى الله تعالى قال : يا رب أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، فلو لم يعرفه موسى لما صدق القول من ملك الموت . وأيضاً قوله في الرواية الأخرى: أجب ربك . يدل على تعريفه بنفسه . والله أعلم .

ومنها أن موسى عليه الصلاة والسلام كان سريع الغضب ، إذا غضب طلع الدخان من قلنسوته ورفع شعر بدنه جبته ، وسرعة غضبه كانت سبباً لصكه ملك الموت . قال ابن العربي : وهذا كما ترى ، فإن الأنبياء معصومون من أن يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرضا والغضب .

---

١ - ج٦ ص ١٣٢ .

ومنها - وهو الصحيح من هذه الأقوال - أن موسى عليه الصلاة والسلام عرف ملك الموت ، وأنه جاء ليقبض روحه ، لكنه جاء مجيء الجازم بأنه قد أُمر بقبض روحه من غير تخيير ، وعند موسى ما قد نص عليه نبينا محمد ﷺ من « أن الله لايقبض روح نبي حتى يخيِّره » فلما جاء على غير هذا الوجه الذي أعلم ، بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه ، فلطمه ففقأ عينه امتحاناً لملك الموت ، إذ لم يصرح له بالتخيير .

ومما يدل على صحة هذا أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت اختار الموت واستسلم ، والله بنبيه أحكم وأعلم ، هذا أصح ما قيل في وفاة موسى عليه السلام ، وقد ذكر المفسرون في ذلك قصصاً وأخباراً الله أعلم بصحتها ، وفي الصحيح غنية عنها . وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة ، فيروى أن يوشع رآه بعد موته في المنام فقال له : كيف وجدت الموت ؟ فقال :كشاة تسلخ وهي حية ، وهذا صحيح معنى . قال ﷺ في الحديث الصحيح «إن للموت سكرات» انتهى ما قاله القرطبي .

وجاء في « مشارق الأنوار »[1] : أخرج أحمد والبزار وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « كان ملك الموت يأتي الناس عياناً ، فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه . . » فكان بعد يأتي الناس خفية وذكر العارف الشعراني - بعد أن حكى رواية للإمام الترمذي بمثل هذا - إنما ففأ موسى عين ملك الموت بإذن من ربه عز وجل لأنه معصوم ، ولذلك لم يعاقبه الله على ذلك .

وجاء في كتاب « تأويل مختلف الحديث »[2] ، أن الله أعطى الملائكة قوة تتشكل بها كما تشاء ، كما أعطى الجن هذه القوة ، ثم قال : ولما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام ، وهذا ملك الله وهذا نبي الله ، وجاذبه لطمه موسى لطمة أذهبت العين التي هي تخييل وتمثيل ، وليست حقيقة ، وعاد الملك إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان لم ينتقص منه شيء .

---

١ - للعدوي ص ١٤ .

٢ - ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، ص ٨٦ .

س : هل من الحديث ما يقال : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل وكّل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله ، فإذا مات قالا : أتأذن لنا أن نصعد إلى السماء ؟ قال : فيقول الله تعالى : إن سمائي مملوءة بملائكتي يسبحوني .. فيقولان فتأذن لنا فنقيم في الأرض ؟ فيقول الله تعالى : إن أرضي مملوءة من خلقي يسبحوني ، فيقولان : فأين نقيم؟ فيقول : قوما على قبر عبدي ، فسبحاني واحمداني وكبراني وهللاني ، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة » ؟

ج : يقول الله سبحانه ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد : ١١] . ويقول ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق : ١٦-١٨] ويقول النبي ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » .

إن ملائكة الله من عالم الغيب ، لا يعلم عددهم إلا الله ، ولهم أعمال كلفهم الله بها ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] وتفاصيل أحوالهم وأعمالهم لاتقبل إلا عن طريق صحيح ، والاعتقاد لايقوم إلا على الدليل القاطع في ثبوته ودلالته .

وقد أخبرت الآية أن لله ملائكة مكلفين بحفظ غيرهم من البشر ، مع اختلاف المفسرين فيمن يحفظه المعقبات : هل هو محمد ﷺ لتقدم ذكره في آية سابقة ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۗ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] أو كل الرسل كما يدل عليه ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أو الناس عامة تحفظهم من الوحوش والهوام لطفاً من الله ، حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبينهم ، كما قاله ابن عباس وعلي رضي الله عنهما ، وقيل الحفظ هو كتابة الأقوال والأفعال ، ونقل القرطبي [1] عن الثعلبي كلاماً أن الملائكة الموكلة بكل عبد يبلغون عشرين ومعهم إبليس وولده ، وليس لهذا الكلام دليل يعتمد عليه في العقائد .

- ج٩ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٤.

وذكر في سورة (ق) رقيبا وعتيدا ، وهما الموكلان بكتابة الأعمال ، اثنان بالنهار واثنان بالليل وأن لكاتب الحسنات سلطاناً على كاتب السيئات ، يأمره بعدم الإسراع في الكتابة لعل الإنسان يستغفر في ظرف سبع ساعات ، كما ذكر الحديث المذكور في السؤال ، ولم يسنده إلى ثقات المحدثين ، بل رواه بصيغة التمريض التي تدل على عدم الصحة في اصطلاح المحدثين ، وهي (رُوى) فالأولى أن نكل العلم إلى الله فيما تقوم به الملائكة ما دام لم ينص عليه في القرآن والسنة الصحيحة .

س : يشكك بعض الناس في قتال الملائكة يوم بدر ، قائلين إن المسلمين انتصروا بجهودهم ، ولو كان الانتصار بسبب قتال الملائكة ما كان لهم فضل ، فما مدى صحة هذا الكلام ؟

ج : تحدَّث القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٢٣- ١٢٥] وقال : إن الله أمَدَّ بملائكته نبيه والمؤمنين في قول جماعة العلماء . وتظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت . ومن ذلك قول أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهيد بدر : لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أمتري -وأبو أسيد يقال إنه آخر من مات من أهل بدر .

ثم ذكر القرطبي حديثاً رواه مسلم عن عمر بن الخطاب جاء فيه دعاء النبي ﷺ ربه لما رأى كثرة المشركين قائلاً «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة - الجماعة - من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » وما زال يهتف وأبو بكر يقول له : كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] فأمده الله تعالى بالملائكة . ثم قال القرطبي : فتظاهرت السنة والقرآن على ما قاله الجمهور والحمد لله .

ولم تكن مهمة الملائكة هي التثبيت فقط لقلوب المؤمنين بل باشروا القتال بالفعل كما قال رب العزة ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال :١٢] وكان منهم ملكان عن يمين الرسول ويساره وعليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ، يقول سعد بن أبي وقاص : ما رأيتهما قبل ولا بعد [١].

وفي حديث مسلم عن غزوة بدر قول ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول :أقْدِم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه فاخضرَّ ذلك أجمع .

فجاء الأنصاري فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يؤمئذ سبعين وأسروا سبعين ، وعن سهل بن حنيف قال [٢] : لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه ، وعن الربيع بن أنس قال : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به . ذكره البيهقي .

يؤخذ من هذا ومن غيره أن الملائكة باشرت القتال بالفعل ولم يكن دورهم هو التثبيت فقط ، وهذا ما يدل عليه ظاهر النصوص ولا حاجة لتأويلها ، كما زعم بعض الناس أنهم حضروا في بدر للدعاء بالتثبيت لا غير .

١- القرطبي ج٤ ص ١٩٠.
٢- القرطبي ، ج٤ ص ١٩٣، ١٩٤ .

والمهم أن نأخذ العبرة من ذلك بأن الله سبحانه يمد المؤمنين الصادقين بوسائل النصر إن استغاثوه ولم يعتمدوا على أنفسهم وقوتهم ناسين ربهم ، فالله سبحانه بيده كل شيء ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران :١٢٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد :٧] ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم :٤٧] .